أثــر التّضام في اتّساق النص القرآني

دراسة لسانية وظيفية في سورتي الرحمان والواقعة

الأستاذ: عبد المالك العايب

جامعة الوادي

الملخص: اعتمدت هذه المقاربة نظريّة النّحو الوظيفي الّتي ظهرت في نهاية السّبعينات بزعامة "سيمون ديك" الهولندي، حيث وسّع النّظر لبناء نحو يربط بين البنية والوظيفة، على أساس أنّ الوظيفة تحدّد البنية.

ويقوم هذا البحث-انطلاقا من تلك الأفكار- على تتبع الصلات القائمة بين النص القرآني في جانبيه اللفظي والمعنوي وما يؤديه من أغراض. أي: ما يربط نظام اللغة في تراكيبها وما تؤديه من معاني وأغراض تتعلق بمقصد النص وفهم المتلقي.

هذا الأخير الذي يتأثّر بطبيعة سبك النص وطريقة صوغ الكلام وتردده، يراعى له الحالات العامة لتلقيه المثالي، الذي يقوم على الفهم والاستنباط؛ فبالتكرار يُشدُّ ذهنه ويتذكر وبالتضاد يُبنى فهمه ويثبّت، وبالتضام يُروّد ويقرّر.

هذا الجانب من النظام التركيبي للغة الذي يُدعى في الدراسات النصية بـ: "الربط المعجمي" يعمل على تحقيق ذلك وهو ما ندعوه بـ" الاتساق".

Résumé : *Cette approche s'est appuyé sur la théorie de la grammaire fonctionnelle,apparue à la fin des années soixante dix par le néerlandais,* ***Simon Dik****, qui a élargi le champ de la grammaire fonctionnelle pour fonder une grammaire reliant la structure à la fonction ,en parlant de la base que la fonction détermine la structure .*

En parlant de ces idées, notreétude est basée sur la recherche des liens existant entre le texte coranique tant au niveau lexical que sémantique et ses finalités, c'est-à-dire ce qui relie le système de langue dans ses structures et ce qu'il en découle de sens et finalité relatif au message du texte, et la compréhension du récepteur Et étant donné que ce dernier est influencé par la nature de la cohésion du texte, de la manière dont la parole est exprimée et de sa récurrence, il faut donc tenir compte des situations générales rendant sa réception meilleure se basant sur la compréhension de la déduction .

La répétition attire l'attention du récepteur, l'antonymie construit sa compréhension, et la collocation détermine le système syntaxique de la langue, appelé dans les études textuelles le lien lexical qui a pour but la réalisation de cette compréhension et c'est ce que l'on appelle la cohésion.

– تمهيد:

يندرج التضام ضمن الظواهر الخطابية ذات القيمة الإبلاغية، وقد عدّها العلماء القدماء ضمن باب البديع، فمنهم من وقف عند إحصائها دونما أيّ تعليق، ومنهم من أشار إلى دورها في تحسين الكلام، ووظيفتها في الجمع بين شيئين أو أشياء في البيت أو خطاب معين[1]. وعليه يمكننا إدراك الفرق بين الرأيين من خلال معرفة أثر هذه الظاهرة في صنع الاتساق داخل النص القرآني.

يعمل نحو النص للكشف عن ظاهرة التضام الواقعة بين الجمل والفقرات في النصوص، من خلال توظيفها للكثير من العلاقات التي تربط بين المفاهيم بمحاولة

توسيع نطاقها داخل النص، ذلك إذا علمنا « أنّ المرء يملك مجموعة من المفاهيم في صورة شبكة من العلاقات الدلالية تختلف بالطبع في كميّة المخزون، وكيفيته نتيجة الفروق الفردية»2، إلا أنّ لهذه العلاقات الدلالية أهميّة سواء عند إنتاج النص أو عند تلقيه.

وقد كان لعلم النفس الإدراكي إسهام كبير في هذا الجانب من خلال اكتشاف كيفية تخزين المعلومات في الوعي، فقد وجدوا تجريبياً بواسطة اختبار التداعي أنّ المفهوم لا يخزّن منعزلاً في الذاكرة، وإنما توجد بين بعض المفاهيم علاقات وثيقة مثل: (تلميذ- يتعلّم)، (قرد- يتسلّق)3.

وقد كان المعيار الثاني من المعايير النصية عند "ديبوجراند ودريسلر" هو التضام4، وهو معيار يختصُّ بالاستمرارية المتحققة في عالم النص " Textual Warid"، ونعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم "Concepts" والعلاقات "Relations" الرابطة بين هذه المفاهيم5.

ويوضح هذا "ديبوجراند ودريسلر" من خلال عرض إحدى أنماط العلاقات، وهي علاقة السببية Causality، التي تربط بين مفهومين أو حدثين، أحدهما ناتج عن الآخر6، ونوضّح ذلك بالمثال التالي:

سقط الكأس، فتحطّم.

فحدَثُ(التحطّم) سبب حدث (السقوط)، والعلاقة الرابطة بين المفاهيم تحتاج من القارئ جهداً في التفسير والتأويل، واستخدام ما في مخزونه الذهني من معلومات عن العالم.

والتضام من بين الظواهر اللغوية التي تندرج ضمن الظواهر المسؤولة عن إحداث اتساق على مستوى اللفظ النصي، والتي يدور حولها محور الدراسة في هذا المقال، لذا سوف لن أتطرق إلا للأمور التي لها علاقة بين التضام ووظيفته النصية والابلاغية، ومنها:

العلاقة بين المعنى المعجمي للتضام والاتساق النصي.

التضام ووظائفه داخل النص القرآني.

أثره في تحقيق الاتساق في سورتي الرحمان والواقعة.

- مفهوم التضام:

المفهوم اللغوي: ورد في "القاموس المحيط" في باب الميم فصل الضاد:

- « الضَّمُّ: قبض شيءٍ إلى شيءٍ.
- ضَمَّه فانضَمَ: إليه.
- تَضَامَّ وضامَّهُ و اضطَمَّ الشيء: جمَعه إلى نفسه. وكغُراب: ما ضُمَّ به شيءٌ إلى شيءٍ.
- الاضْمامَة بالكسر: الجمَاعة. وكصَبور: كلُّ وادٍ يُسْلَكُ بين أكَمَتين طَويلَتين.
- الضَّمْضَامُ: الذي يحتوي على كل شيء.
- الضَّمَّة: الحلبة في الرِّهان. وفرسٌ سبّاقٌ.
- الأضَاميمِ: جماعات الخيل. واضْطَمَّ عليه: اشْتَمَلَ»7.

تُجمع كل هذه المعاني في عبارة واحدة ترتبط بالجمع والاشتمال والضمّ والاحتواء والوصل.

المفهوم الاصطلاحي: التضام وسيلة من وسائل تيسير طول الكلام، لذا فإنّ الذي يصغي للكلام – أيًّا كان- يعجب أن يراه ممتداً إلى غير حدود، فقد ينقطع المتكلم عن كلامه بعد برهة وجيزة أو بعد فترة طويلة، غير أننا لو حلّلنا هذا الكلام، لوجدناه - مهما طال- يتكون من أبنية صغيرة الحجم، قد تكون جملاً مفيدة عند

بعض الباحثين، أو مكوّنات مباشرة عند بعضهم، أو تكون أنماطاً عند بعض آخر، وكلّ بناء من هذه الأبنية جميعاً لا يكاد يستغرق وقتاً يذكر في نطقه، جعل من ذلك الكلام – رغم طوله- يسيراً في الفهم8.

فما الذي جعل من هذا الفهم يسيراً رغم أنّه يتكوّن من وحدات صغيرة الحجم متميزة تمييزاً ذاتياً لها بداياتها ونهاياتها المختلفة؟

إنّ الذي ييسّر طول الكلام وامتداده هو(التضام)، وهو أن تقبل لفظة تركيبياً أن تُسب أو تُتلى بكلمة من قسم آخر، ولا تقبل أن تسبق أو تتلى من قسم ثالث. وقد استخدم "ابن مالك" النحوي هذه الظاهرة حين قال:

بالجرِّ والتنوين و النِّدا وألْ ... ومسندٍ للاسم تمييزٌ حصلْ

سواهما الحرفُ كهلْ وفي ولمْ ... فعلُ مضارعٌ يلي لمْ كيَشمْ9.

فالأسماء تقبل مثلاً أن تتضام (ياء النداء) معها، أمّا الأفعال المضارعة فتتميز بقبولها التضام مع (لم) التي تأتي سابقة عليها، كل ذلك أصوات يمكن سماعها وملاحظتها، ثم استخدامها في تميّز والتحام، وهي وسائل شكلية.

ولقد ذهب علماء اللغة المحدثون مذهب "ابن مالك النحوي" في هذه القضية، فهذا"دو سوسير" يرى أنّ العلوم الطبيعية « تبدأ تصنيفها بوصف كل وحدة من الوحدات، نجد أنّ وصف عناصر اللغة لا يمكن أن يتم إلا بالنظر إلى علاقة كل عنصر بما عداه من العناصر الأخرى، نظراً لأنّ أحداً من هذه العناصر لا يملك أيّة قيمة ذاتية (باطنية) اللهم إلاّ بتقابله مع العناصر الأخرى»10.

وفي الجلوسيماطيقا يرى "هلمسيلف" أنّ ظهور أي عنصر لغوي يحكمه ظهور عنصر لغوي آخر، يقول:«أي عنصر لغوي مثل الاسم أو الحرف [الفونيم] أو الصائت أو الصامت لا يمكن تحديده أو تعريفه إلا في وجود العنصر الآخر أو العناصر الأخرى، فهذه العناصر ليست قابلة للتحليل اللغوي لأنّها مستقلة، وإنّما هي قابلة للتحليل من حيث هي عناصر ذات علاقات محددة مع عناصر أخرى داخل بنية معينة في لغة معيّنة»11.

هذا ما توصل إليه علماء اللغة قديماً وحديثاً من أنّ التضام بين أقسام الكلام يكون محدداً أصلاً، فبعض الأقسام تتضام مع بعضها ولا تتضام مع غيرها وهكذا.

ينطلق علماء اللغة حديثاً من معطيات ثلاثة للتعريف بظاهرة التضام، التي اقترحها "روبرت ديبوجراند" وتقوم على استبدال المجالات الثلاثة المعروفة تقليدياً في علم الإشارة وهي: النحو والدلالة والبراغماتية، بثلاثية جديدة هي:

- وصلية تتابعية.
- وصلية المفاهيم.
- وصلية مجموعة الأحداث والخطط والأهداف12.

وعليه يشتمل التضام على «الإجراءات المستعملة في توفير الترابط بين عناصر ظاهر النص كبناء العبارات والجمل واستعمال الضمائر وغيرها من الأشكال البديلة»13، واستخدام مثل هذه الظاهرة يهدف إلى الحفاظ على استقرار النص السردي، من خلال استمرارية الوقائع داخله، بوصفه نظاماً من الحكي، وبالمفهوم التواصلي للنص، تستند فكرة الاستمرارية تلك إلى الافتراض القائل بوجود« ارتباط بين مختلف وقائع النص من جهة، وسياق استغلاله من جهة أخرى أو بمصطلحات معرفية، ولكلّ واقعة قيمة بصفتها وسيلة في التوصل إلى بعض الوقائع الأخرى على الأقل»14، والمثال التالي يُوضح ذلك:

- "ما لي أرى طلبة الآداب الذكور لا يحضرون الدرس النحوي؟ الطالبات يحضرْن".

فـ(الـذكور والبنـات) ليـسا متـرادفين، إلا أنّ ورودهمـا فـي الـنص علـى هـذه الـشاكلة يسهم في بناء النصية.

فالعلاقـة التـي تحكـم كـلاً من (الـذكور- البنـات) علاقـة تعـارض، إضـافة إلـى علاقات أخرى واردة في المثال مثل: الكلّ بالجزء أو الجزء بالكلّ، أو عناصر من نفس القسم العام. على أن القارئ يتجاوز صعوبة اكتشاف مثل هذه العلاقات بخلْق سياق تتـرابط فيـه العناصـر المعجميـة معتمـداً علـى حدسـه اللغـوي وعلـى معرفتـه بمعـاني الكلمات وغير ذلك15.

وعليـه فالتـضام:« هـو تـوارد زوج مـن الكلمـات بالفعـل أو بـالقوة نظـراً لارتباطهـا بحكـم هـذه العلاقـة أو تلـك»16، ومنـه فالتـضام هـو المـصاحبة المعجميـة (Collocation)، ويراد بها العلاقات القائمة بين الألفاظ في اللغة مثل (الولد / البنت) علاقة التضاد، وعلاقة التقابل، وعلاقة الجزء بالكل، وعلاقة الجزء بالجزء، ممّا شاع في اللغة عامة وفي علم الدلالة خاصة.

والتضام بشكل عام يمكن فهمه من وجهين هما:

أ- الوجه الأول: هو الطرق الممكنة في رصف جملة ما، فتختلف طريقة منها عن الأخرى تقديماً وتأخيراً وفصلاً ووصلاً، ويمكن أن نطلق على هذا الفرع من التضام اصطلاح (التوارد)، وهو بهذا المعنى أقرب إلى اهتمام دراسة الأساليب التركيبية البلاغية الجمالية منه إلى دراسة العلاقات النحوية و القرائن اللفظية.

ب- الوجه الثاني: أنّ المقصود بالتضام أن يستلزم أحد العنصرين التحليليين النحويين عنصراً آخر، فيصطلح عليه هنا(التلازم)، أو يتنافى معه فلا يلتقي به فيسمى هذا(التنافي)، وعندما يستلزم أحد العنصرين الآخر فإنّ هذا الآخر قد يدل عليه بمبنى وجودي على سبيل الذكر أو يدل عليه بمبنى عدمي على سبيل التقدير بسبب الاستتار أو الحذف17.

ويعرّف "تمام حسان" كلاً من هذه الأقسام الثلاثة للتضام على النحو التالي:

التلازم: هو أن يستلزم أحد العنصرين التحليلين النحويين عنصراً آخر، وأهم نماذجه الاختصاص، وتلازم الصفة والموصوف والمعطوف والمعطوف عليه.

التنافي: هو أن يتنافى أحد العنصرين مع الآخر فلا يلتقي به.

التوارد:هو الطرق الممكنة في رصد جملة ما فتختلف طريقة منها عن الآخر تقديماً وتأخيراً وفصلاً ووصلاً18.

والتضام نوع من أنواع الربط المعجمي، حيث يرتبط عنصر بعنصر آخر، من خلال الظهور المشترك المتكرر في سياقات متشابهة. مثل لفظ(الحرب- الأعداء- الصراع- الجنرال)و(المجتمع- الاقتصاد- الطبقة)و(محاولة- نجاح)و(ملك- سلطة)...الخ، ويعدّ هذا النوع أكثر أنواع الربط المعجمي صعوبة في التحليل؛ حيث يعتمد على المعرفة المسبقة للقارئ بالألفاظ في سياقات متشابهة، والتوصُّل إلى فهمها في سياق النص المترابط19.

وهناك علاقات تضامية أخرى تحكم هذا النظام، مثل:

- العلاقات التطابقية: والتي تكون بين اسم يحمل علامة التأنيث وآخر يحمل نفس العلامة، أو بين اسم معرفة وآخر معرفة أو بين اسم مرفوع ومرفوع آخر.

- العلاقات الاشتقاقية والتي تكون بين الألفاظ. مثل: قرأت قراءةً متأنيةً. حيث تشترك اللفظتان (قرأتُ) و(قراءةً) في مادة اشتقاقية واحدة.

فهذه العلاقات تعمل في نظام متضامّ مرتّب تحت مسمّى العلاقات البنائية السنتاجمية.

والاتساق بواسطة علاقة التضام يتم عبر توارد زوج من الكلمات ترتبط بعلاقات معجمية غير التكرار. كالطباق والجزئية والكلية والعموم والخصوص والترتيب والمجاورة وغيرها من العلاقات الممكنة بين مفردات النص ووحداته.

- أثر التضام في اتساق النص القرآني:

النصوص عادة ما تتضمن علاقات خاصة بين كلماتها، وهي علاقات يصفُها علماء اللغة بالمَعنَوية، تكون بها أقل سهولة في التحديد لتقاربها في الدلالة، وتلعب دوراً هاماً في إحداث الاتساق من خلال الظهور المشترك وارتباطها بموضوع معين، مما يُكسب النص تنوّعُ في الموضوعات، وكل موضوع منها يُبرز مخزون اللغة عبر تضام مجموع الكلمات المرتبطة به،«والتي تمثل أساساً مشتركاً مع المخزون الإدراكي لدى المتلقي، مما يُسهم في إدراك وحدة النص وتماسكه»20.

ويُنظر إلى تلك العلاقات التي تجمع أطراف النص وتربط بين عناصره، على أنها علاقات دلالية21، ترتبط بينها برابط دلالي معيّن22، تحت مسمى الحقل المعجمي أو الدلالي*. مثال ذلك علاقات: العموم/الخصوص، السبب/المسبب، المجمل/المفصّل... وفي نظر "محمد خطابي:« لا يكاد يخلو منها نصّ يحقق شرطي الإخبارية والشفافية مستهدفاً تحقيق درجة معيّنة من التواصل، سالكاً في ذلك بناء اللاحق على السابق، بل لا يخلو منها نصّ يعتمد الربط القوي بين أجزائه»23.

وفي هذا المجال يُمكنني أن أستعين برأي "أحمد المتوكّل" القائل بـ:«أنّ كل المحمولات في النحو الوظيفي تدلّ على واقعة(State of affairs)،وتنقسم الوقائع إلى أربعة أصناف:أعمال(Actions)وأحداث(Processes)وأوضاع(Positions) وحالات(States)»24، ولتوضيح ذلك يضرب الباحث الأمثلة التالية:

انطلق زيد ——— عمل

دوى الرّعد ——— حادثة

زيد واقف ——— وضع

مرض زيد ——— حالة

ويضع "أحمد المتوكّل" قيوداً لعطف المحمولات تخضع لها، وهي:

قيد تناظر الوقائع: يجب أن يكون المحمول المعطوف عليه والمحمول المعطوف (أو المحمولات المعطوفة) دالين على الصنف نفسه من الوقائع.

قيد وحدة الحقل الدلالي: يجب أن يكون المحمول المعطوف عليه والمحمول المعطوف (أو المحمولات المعطوفة) دالين على واقعتين منتميتين إلى نفس الحقل الدلالي، شريطة ألا تكونا متناقضتين أو مترادفتين.

قيد تناظر الوظائف التداولية: يجب أن يكون المحمول المعطوف عليه والمحمول المعطوف (أو المحمولات المعطوفة) حاملين لنفس الوظيفة التداولية25.

وفي النص القرآني نجد ما يُسمى بـ"عطف العناصر"، ولكن قد تكون المسافة المعنوية بينهما بعيدة(بُعد الآيات عن بعضها) نسبياً عند سورتي الرحمان والواقعة، وهي طريقة تستبعد المتوقّع وتحل محلّه غير المتوقّع، مما يُفاجئ القارئ بما لا ينتظره حرفياً، فينشأ بذلك الغموض، ويقترب التعبير من اللغز، مما يتطلّب من القارئ بذل جهد إضافي لفهم مقاصد النص، من خلال ربط علاقات تلك العناصر ببعضها، لذا أعتمد الأمثلة التالية في التحليل، وهي أمثلة محدودة إذا ما قُورنت بمجموع العلاقات الموجودة في السورتين:

*- المجموعة (أ):

قال تعالى في سورة الرحمان:

﴿الرَّحْمَـنُ﴿١﴾عَلَّـمَ الْقُـرْآنَ﴿٢﴾خَلَـقَ الْإِنـسَانَ﴿٣﴾ عَلَّمَـهُ الْبَيَـانَ﴿٤﴾الـشَّمْسُ وَالْقَمَـرُ بِحُسْبَانٍ﴿٥﴾وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴿٦﴾.
﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴿٧﴾.
﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴿١٠﴾.
﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴿١٤﴾وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴿١٥﴾.

أول ما يُلاحظ على العناصر ذات الظهور المشترك في الأمثلة السابقة أنها مرتبطة برابط الاسم الذي يجمعها، وهو لفظ الجلالة﴿الرَّحْمَـنُ﴿١﴾، مُبتدءاً السورة بجملة اسمية، تستشرف أذن المتلقي لِما سيردُ من خبر(الثابت بدلالات الجملة الاسمية) المناسب لهذا الوصف. فجاء الخبر في شكل مجموعة من الجمل المتتالية، تحتوي على العناصر:(عَلَّمَ-خَلَقَ –عَلَّمَ-رَفَعَ-وَضَعَ).وهي أفعال صيغتها(فعّل- فعَل) وزمنها(الماضي) مسندة إلى لفظ الجلالة.

فالعناصر الأولى (عَلَّمَ-خَلَقَ –عَلَّمَ) غير متعاطفة لمجيئها على نمط التعديد في مقام الامتنان(كما بيّنتها في فصل التكرار)، ويدخل في هذا المعنى لفظ "بِحُسْبَانٍ"، ثم تليها أربعة أخرى(يَسْجُدَانِ-رَفَعَهَا-وَضَعَ-وَضَعَهَا) متعاطفة بحرف العطف، وجيء بالمسند فيها فعلاً مؤخراً عن المسند إليه لأجل التخصيص.

فعدم العطف بين العناصر الأولى فيه حُجج دامغة للمنكرين، الذين لا ينازعون الله تعالى في هذه الصفات، لكنهم لمّا أعرضوا عن موجبها(وهو توحيده)، «سيق لهم الخبر بها على أسلوب التعديد بدون عطف، كالذي يعد للمخاطب كثرة أخطائه وغفلته، وهذا تبكيت»26، وهذا الأسلوب يمكن إدراجه في قائمة الوقائع، التي يتقدّمها العمل، وفي كل آية يدلّ على نفس الصنف، لزيادة تقوي الحكم.

ويبدأ العطف بين العناصر الأربعة الثانية لخروج الأسلوب من التعداد إلى إيفاد الدلالة لِما في(سجود النجم والشجر ورفع السماء ووضع الأرض) من عبرة بمعرفة عظيم قدرة الله تعالى على الخلق، فهي للاتعاظ وليست للتوبيخ.

وبما أنّ هذه السورة بُنيت على نظام المزدوجات، فإنه روعي فيها تقديم الأهم على المهم من ألفاظ الدالة على العمل(بمصطلح النحو الوظيفي) الموافق لقيام الحجة وبيان السبيل، بما تقتضيه درجة الإنكار وطريقة الإقناع، وهذا الظهور المشترك للعناصر المتوافقة في العمل، «دالة على تصرفات الله ليُعلّمهم أنّ الاسم الذي استنكروه هو اسم الله وأنّ المسمى واحد»27. وهذا هو الحقل الذي يجمع بين العناصر(عَلَّمَ-خَلَقَ –رَفَعَ-وَضَعَ) لاشتراكها في موضوع (الخلق)الذي يعود عن لفظ الجلالة في بداية السورة، فيُمثّل بذلك بؤرة تدور حولها كل معاني الجمل(الامتنانية) بعدها، مما يتبيّن اجتماع المعجم اللغوي للآيات لأداء مهمة الربط التي تُفضي إلى الاتساق.

**-المجموعة(ب): قال تعالى في سورة الرحمان:
﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴿٣٥﴾.
﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴿٣٩﴾.
﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴿٤١﴾.
﴿هَـذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴿٤٣﴾يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴿٤٤﴾.
الأفعال الواردة في الآيات الثلاث الأولى أفعال مضارعة مبنيّة للمجهول، تدلّ على الأمور الغيبية، ووقوعها في الزمن المستقبل بدلالة الآية السابقة﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴿٣١﴾. وهو تحذير للمكذّبين بما سيقع يوم القيامة من أنواع العذاب، فإرسال الشواظ والأخذ بالنواصي والأقدام من طرف ملائكة العذاب الموكلون بذلك، هي

الصورة التي أراد القرآن الكريم نقل أذهان الناس إليها، والتركيز على هذا الفعل بلفظ المضارع الدال على العمل، فيه وعيد شديد بأن الجزاء من جنس العمل، وهو مستمرّ ما استمرّ تكذيب الناس بفضائل الله عليهم.

وفي هذه الأفعال بيان على عدم الإفلات من العقاب يوم القيامة، وهو استئناف بياني لتوضيح أن ذلك اليوم هو يوم حساب وعقاب يتوقف فيه عمل الإنسان، لذلك جاء الخطاب بعدم سؤالهم عن ذنوبهم، فقط سيماهم وعلاماتهم التي في أجسادهم هي الدالة على أعمالهم.

ثم يستمرّ التهويل والتسفيه لهم، وبيان حالهم بالمضارع الدال على التردّد والإكثار منه. والتردّد هنا ليس كالتردّد الدنيا:

- فالتردّد في الدنيا: هو عدم قبولهم الحق، والشكّ فيه.
- والتردّد في الآخرة: هو مشيُهم بين مكان النار وبين الحميم.

يتّضح أن هذه الأفعال جيء بها للتحذير بعد تعداد نعم الله وفضائله في بداية السورة، فهي الآن في مقام بيان أهوال القيامة بذكر النار وشدائدها. وهو الحقل الذي يجمع عناصر هذه الآيات لإتمام المعنى العام للسورة، الذي يقضي بمعرفة حق الرحمان.

ومن خلال المجموع (أ) و(ب) أستنتج أنّ فضائل الله تعالى المتمثلة في أفعال(الخلق – الرفع-الوضع-المرج...) لا ينبغي أن تُقابل بأفعال الخلق(التكذيب)لذلك خاطبهم بقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، ثم الذين هذا فعلهم في الدنيا يُقابلون هم أيضاً يوم القيامة بأفعال العقاب(يُرسل -يُؤخذ)، ولذلك جاءت مبنيّة للمجهول تحقيراً لهم، ولذلك فالآيات في الموضوعين تتناسق معنوياً من أول السورة إلى الآية:(44) لارتباطهم بموضوع الردّ على المنكرين.

ويتكوّن كل تضام فرعي من مجموع من الألفاظ المندرجة تحته، حيث يصبح الوصف مجالاً نشِطاً لظهور حقل جديد، على نحو ما نجده في وصف الجِنان عند قوله تعالى:

***-المجموعة(ج): في سورة الرحمان:

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴿٤٦﴾.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴿٥٠﴾.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴿٥٤﴾.

﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴿٥٦﴾.

﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴿٦٨﴾.

وقوله تعالى في سورة الواقعة:

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾.

﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴿٢٨﴾وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴿٢٩﴾وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴿٣١﴾.

فتتشكّل قطعة الوصف السابقة من مجموعة من الأسماء المتضامّة التي تصفُ هذا المكان وهي:(جَنَّتَان- عَيْنَان- فُرُش- قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ- فَاكِهَةٌ- وَنَخْلٌ-وَرُمَّانٌ- وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ- بِأَكْوَابٍ- وَأَبَارِيقَ- وَكَأْسٍ- سِدْرٍ-طَلْحٍ-ظِلٍّ-مَاءٍ...)، تُشير هذه الأسماء إلى علوّ المكان وسعته وحسنه، وما به من وسائل الراحة وأنواع الأكل والفاكهة، وما يفتقده العرب كالظلّ والماء، وما يشتهيه الإنسان من شهوة. حيث يمتدّ هذا الوصف عبر السورتين بغرض التشويق، ثم يجعل القرآن لذلك شرطاً لدخول هذا المكان وهو أن يكون من أصحاب اليمين أو السابقين على تفاضلهما في الجزاء.

وفضلاً عن هذه العلاقة المكانية التي تربط المكان(وما بداخله) بأصحابه، يُقدّم القرآن الكريم علاقة أخرى بين الموصوف(الجنة) وأصحابها، وهي العلاقة

الزمانية، حيث علّق ذلك بحادث يوم القيامة، وهو زمن يبدأ بانطلاق علاماته الكبرى ومنها(رجُّ الأرض وبسّ الجبال)، فتصبح القيامة رأساً لتضامّ فرعي يُسهم الوصف في بنائه ابتداءً من أول السورة على نحو ما نجده في قوله تعالى:﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴿٣٧﴾[الرحمان]. وقال: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴿١﴾لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴿٢﴾خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴿٣﴾إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴿٤﴾وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴿٥﴾فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا﴿٦﴾وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴿٧﴾[الواقعة].

فيتضام في ذلك الوصف مجموعة من الألفاظ هي:(انشقت-السماء-الواقعة-خافضة-رافعة-رُجّت-رجّاً-بُسّت-بسّاً-هباءً-منبثّاً-أزواجاً- ثلاثة)، تلك المحمولات التي تصف القيامة وأهوالها، تدلّ على الصّنف نفسه من الوقائع، وما يحدث في هذا الوقت من حركة الأرض والجبال وفزع الناس وتفرّقهم.

وفي هذا الوصف تظهر المحمولات مرتبطة برابط العطف(الواو-الفاء)، حيث يدلّ كلّ محمول على حادثة خاصة، مثل:(انشقاق السماء-رجّ الأرض-بسّ الجبال-هباءً منبثّاً-أزواجاً ثلاثة)، وكلّ هذه الحوادث يرتبط(ينتمي) بوقوع الواقعة التي تجتمع في حقلها الدلالي، كما أنها تؤدي معها نفس الوظيفة، فتظهر بذلك علاقة العام والخاص التي تجمع بين هذه المواضيع.

وفي هذا السياق المكاني والزماني، تُقدّم السورتان وصفاً لجميع البشر الذين يُشرَكون لصنع أحداث ذلك اليوم، وتصنيفهم إلى ثلاثة أصناف(أصحاب ميمنة-أصحاب مشأمة-السابقون)، من خلال تقديم أوصافهم، أو أعمالهم التي عُرفوا بها في الدنيا، وهي التي تقود كلّ صنف إلى جزائه. وهؤلاء الأصناف هم:

- السابقون:﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴿١٠﴾أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴿١١﴾فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴿١٣﴾وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴿١٤﴾. وقال:﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴿٨٨﴾فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴿٨٩﴾[الواقعة]. حيث جاء ذكر جزائهم خاصاً.

- أصحاب اليمين(الميمنة): حيث قدّمت الآيات وصفاً لكل من سيدخل الجنة فقال عزّ وجل:﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴿٤٦﴾[الرحمان]. وقال فيهم في سورة الواقعة: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴿٤٠﴾[الواقعة].

- أصحاب الشمال(المشأمة): قال تعالى فيهم:﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴿٤١﴾[الرحمان]. وقال:﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴿٤٥﴾وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴿٤٦﴾وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴿٤٧﴾. وقال:﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴿٥١﴾[الواقعة].

وهذه الفئة من الناس والتي تكون في جهة الشمال، توضّح الآيات عذابهم من بين ذكر صفاتهم ليكتمل المشهد عند المتلقين بأن هذه الصفات تؤدي إلى هذا العذاب. يقول تعالى في سورة الرحمان:﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا

شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴿٣٥﴾ . وقال:﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴿٤١﴾فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴿٤٢﴾هَـٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴿٤٣﴾يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴿٤٤﴾[الرحمان]. وقال في سورة الواقعة:﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴿٤٢﴾وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴿٤٣﴾لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴿٤٤﴾. وقال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴿٥١﴾لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴿٥٢﴾[الواقعة].

تشكّل الألفاظ المسطّرة العذاب أو بعضه، حيث كان الابتداء بالاحتواء وعدم سؤالهم عن ذنوبهم، مروراً بأنواع العذاب الأخروي، وصولاً إلى الخلود في النار(الطواف بينها وبين حميمها)، بما يضع المتلقي في موقف حرج وكأن العذاب يحويه وحده، وذلك لمجيء أنواع العذاب متتالية في صف دقيق تنفّر نفسه من مشاهده، كما يستعين القرآن الكريم في ذلك بالتشبيه والتكرار. يقول تعالى:﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴿٥٥﴾[الواقعة]. لزيادة تقرير ما للعذاب من بشاعة، وإفادة التعجيب من حالهم ممّا يبعث عن التأثير في نفس المتلقي.

إذن من خلال ما تقدّم من وصف الجنان والعذاب، يتبيّن«أنّ العلاقة وطيدة بين المكان والوصف، بوصف الأخير آلية تشكّل الأول، وتُكسبه الهوية»28، كما يعمل على خلق بعض العلاقات الدالة داخل النسيج النصي بما يخدم الموضوع العام في شكل متّسق معجمياً، ولكن من الملاحظ عن الوصفين الواردين(العذاب والإحسان)، «أنه جمع العذاب جملة، وفصّل آيات الثواب ترجيحاً لجانب الرحمة على جانب العذاب، وتطييباً للقلب، وتهييجاً للسامع؛ فإنّ إعادة ذكر المحبوب محبوب، وتطويل الكلام في اللذات مستحسن»29.

ويستمرّ التّنوّع في الحقول داخل السورتين بما يخدم التضام الرئيسي، كما نرى في آيات الامتنان، التي تحوي تعداد بدائع الله في الكون وسِرّ عظمته، بما يُنافي الكفر به، وعبادة غيره معه. يقول تعالى في سورة الرحمان:

-﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴿٢﴾خَلَقَ الْإِنسَانَ﴿٣﴾.

-﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴿٧﴾.

-﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴿١٠﴾.

-﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴿١٤﴾وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴿١٥﴾.

-﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴿١٩﴾بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴿٢٠﴾.

وقال في سورة الواقعة:

-﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴿٥٧﴾.

-﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴿٦٠﴾عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴿٦١﴾.

وهذا شكل آخر من العلاقات المتداخلة بين مجموع الألفاظ المرتبطة في تضام فرعي، تُمثّل موضوع عجائب خلق الله تعالى وبدائع صنعه في الكون،والمتمثّلةفي(القرآن-الانسان-السماء-الميزان-الأرض-الجان-البحرين- برزخ-

الموت-الانشاء...)، وهذا أسلوب تواصلي يرمي إلى إثبات -قضية- صفة الرحمان وتوحيده بالعبادة، وفق نمط حجاجي يقوم على الإقناع بالحجة والبرهان، والسعي لتغيير وجهة نظر من أنكر اسم الرحمان، فتكون العناصر(القضية-البرهان) المرتبطة بهذا النمط، متضامّة مع وحدة الموضوع التي تعمل على إثباته.

والقضية -كما أشرت إليها- هي: إثبات صفة الرحمان وتوحيده بالعبادة، والدلائل في ذلك تتمثل في معجزات الله تعالى في الكون، وهي حجج غير قابلة للإنكار تترك المتلقي في موقف المستنتج اعتماداً على قوة الاستقراء للمنجز النصي والقوة الخارجية.

حيث قدّم في هذه الآيات نعمة الدين المتمثلة في معجزة القرآن، ثم تلاه بخلق الإنسان المخاطَب به، ثم عاد فأتبعه إيّاه، «ليعلم أنه إنما خلقه للدين، وليُحيط علماً بوحيه وكتبه، وقدّم ما خلق الإنسان من أجله عليه، ثم ذكر ما تميّز به عن سائر الحيوان من البيان»30، ثم تواصل الآيات ذكر أصناف النعم ومختلف الآلاء، من خلق الشمس والقمر والنجم والشجر والبحر...إلخ، وكلها تمثّل مظاهر الطبيعة(بين الحيّ والمتحرّك) يُدركها المتلقي بحسّه الذاتي، عبر وصف موضوعي خارجي، يسعى للكشف عن صفات الموصوف كما هي في الواقع.

على هذا النحو يشكّل كل من التضام الرئيسي، والتضام الفرعي معجم السورتين، في صورة شبكة متداخلة من العلاقات تُسهم في بناء موضوعهما، فيُصبح التضام شكلاً من أشكال الربط المعجمي داخل النص القرآني، فضلاً عن أثره في إضفاء سمة التنوّع باختلاف الموضوع والألفاظ المتضامّة معه من سورة إلى أخرى، كما أنه يُعدّ إحدى الوسائل الهامة التي تُسهم في فتح قناة تواصل بين النص والقارئ -على اختلاف توجّهات المتلقّين- عن طريق إدخال التضام الفرعي بما يتناسب مع التضام الرئيسي وارتباطه بموضوع السورة.

1) - وظائف التضام وأغراضه البلاغية:

التضام هو ظاهرة بلاغية أدرجها العلماء ضمن باب البديع، وهو توارد لفظين معجمياً لعلاقة بينهما تحوي جملة من الوظائف والأغراض، وبعد الانتهاء من بيان أثره في تحقيق الاتساق، ألخّص وظائفه فيما يلي:

التضام وسيلة من الوسائل الأكثر براعة في تجميع عدد من أفكار وتوسيع المفاهيم داخل نطاق النص، باعتباره وسيلة قادرة على الربط بين الألفاظ في حقول دلالية مختلفة.

يمتاز التضام بما يسمى بظاهرة(التوارد)، وهي ارتباط ألفاظ مع أخرى معينة دون غيرها، والأكثر من هذا له القدرة على تعليق فقرات النص ببعضها، عبر ربط ألفاظه نحوياً وفق ظاهرة (التلازم)، كما يجمع بين العناصر المتقابلة التي يتضح بعضها بعلاقة التضاد أو التقابل، فيظهر النص بذلك وحدة واحدة مترابطة نحوياً ومعنوياً.

يعتمد التضام على الجمل القصيرة والخطابات المباشرة في رصف أجزاء النص وتعليق بعضه ببعض، عبر علاقات سببية وأخرى تعارضية أو شرطية أو متشابهة أو حتى ذات روابط زمنية

للتضام وظيفة مرجعية داخل النص، وذلك بتعليق عناصره بلفظ وارد في أوله أو متكرّر من حين لآخر(ماثل في النص)، وقد يكون اسماً ظاهراً أو ضميراً يعود على المخاطب أو فكرة ما يُدافع عنها أو وصفاً داخلياً أو خارجياً، فتكون بذلك كل أجزاء النص مجتمعة تعمل على توجيه ذهن المتلقي إليه وصرف انتباهه نحوه.

يعمل التضام على اتساق النصوص وفق ترتيب عناصر النص وفقراته بطريقة منهجية تُكسب النص تسلسلاً منطقياً يسهل فهم معانيه.
يعمل التضام على وظيفة الاستمرارية لمعاني النص، ممّا يُسهم في اتساقه دون تفصيلٍ مُمل.
يعتمد التضام على أسماء الذوات، وأفعال الجوارح، وأفعال الحالة، والجمل الاسمية، والنعوت في توصيف مشاهد النص التي تتراوح بين المفتوح والمغلق والحسن والسيئ.. أو الثابت والمتحرك، حيث تُمنح الشخصيات فيها الهوية من أجل التفاعل، مما يُكسب النص حضوراً وعمقاً دلالياً، فضلاً عن كونه يُقدّم حالة من الإحساس البصري لدى القارئ، كي يتمكّن من تصوير تلك الموصوفات، فيحدث نوعاً من الترابط أو الاتصال الذهني بما تُثيره في نفسه من مشاعر.

تتداخل هذه الوظائف في النصوص لتحقيق أهداف أو أغراض معيّنة، مثل:

-توجيه المرسل إليه إلى قضية هامة، من خلال تتبّع الأسباب والمظاهر.
-حمل المخالفين على تغيير آرائهم.
-وظيفة الكلام في هذا النوع من الربط توجيهية تأثيرية.
-ومن أغراضه أيضاً الإقناع والغاية منها تغيير رأي السامع وإقناعه بما يُلقى عليه.
-رسم الصور وإيهام المتلقي بمطابقتها الواقع، لِما فيها من دقة التصوير وتعدد الثنائيات واعتماد النعوت...الخ.

2) - **قائمة بأنواع التضام في سورتي الرحمان والواقعة وأغراضه البلاغية:**
المجموعات الثلاث الأولى ألفاظ مرتبطة بنفس الموضوع في سورة الرحمان، والثلاثة الأخرى في سورة الواقعة، وعليه فكل سورة تكون بها ثلاثة حقول:

الرقم	الألفاظ المرتبطة بموضوع واحد	نوعها	حقلها
01	القرآن-الانسان-الشمس-القمر-السماء-الأرض-النجم-الشجر-الميزان-الفاكهة-النخل-الحبّ-الجان-المشرقين-المغربين-برزخ-اللؤلؤ-المرجان-الجوارالمنشآت-البحر.	أسماء	الحقل الدال على بدائع الله في الكون
02	عينان-فاكهة-فرش-جنتين-قاصرات الطرف-إحسان-نخل-رمان-رفرف	أسماء	الحقل الدال على النعيم
03	جهنم-شواظ-حميم	أسماء	الحقل الدال على العذاب
04	جنات-سرر موضونة-ولدان مخلدون-أكواب-أباريق-كأس من معين -فاكهة-لحم طير-حور عين- سدر مخضود-طلح منضود- ظلّ ممدود - ماء مسكوب-فاكهة كثيرة-سلام – روح –ريحان	أسماء وجمل اسمية	الحقل الدال على النعيم
05	سموم-حميم-ظلّ من يحموم - زقوم-جحيم	أسماء	الحقل الدال على العذاب
06	الخلق-الإمناء-الموت-الإنشاء-النار-الشجر-الزرع-الماء-المزن-القرآن-الأرض-الجبال	أسماء	الحقل الدال على بدائع الله في الكون

من خلال ما تقدّم عرضه من بيان أثر التضام في تحقيق الاتساق النصي داخل نص سورتي الرحمان والواقعة، وبعد إتمام عملية الإحصاء وبيان نسبة توزيع كل نوع، أستنتج ما يلي:

- لا تقتصر وظائف التضام على الربط داخل الموضوع الواحد فقط، بل تتعداه إلى الربط بين المواضيع المتشكّلة لنص السورتين، كما يشكل كل موضوع حلقة من حلقات هذا النص.
- وسيلة التضام لا ترتبط فقط بقدرة اللغة على التنويع في استخدام هذه الوسائل. بل تشير أيضاً إلى دورها في بناء النمط الحجاجي الذي تمتاز به السورتان، وذلك من خلال تواصل الآيات في ذكر نعم الله تعالى وآلائه في الكون، والاعتماد على الوصف المتتالي لمظاهر الجزاء الأخروي، ممّا يُسهم في اتساق البناء العام للنص وسهولة تعلّقه بذهن القارئ، من خلال ارتباط عناصره بنفس الموضوع.

- ظاهرة التضام هي ظاهرة لغوية عرفتها اللغة العربية في أقدم نصوصها الشعرية والسردية، وقد تناثرت أقوال في الحديث عنها وإشارات إليها في كتب القدماء والمحدثين.

- إن اعتماد البنية النصية لسورتي الرحمان والواقعة على التضام في سياقات مختلفة، أسهم في اتساق النص وتكامل مقاطعه الوصفية والحوارية والحجاجية، ذلك بوصفه طريقاً مفتوحة بالنسبة إلى القارئ يحاور نصه ويؤوله انطلاقاً من معرفته الخلفية ورؤيته للعالم.

- يحاول القرآن الكريم من خلال التضام التأثير في نفسية المتلقين، من خلال تناوله الجانب المادي تعداداً وتوصيفاً، وقد كشفت عن ذلك الألفاظ التي اتسمت بنسبة عالية من الشيوع في الموضوع المادي الدنيوي(بدائع خلق الله من سماوات وأرض وشمس وقمر...) والأخروي(جزاء الجنة والنار)، عكست مدى نجاح الوصف في تحقيق الوظيفة الإيهامية التي تجعل من الموصوف مطابق للواقع، كما يبرز في هذا الوصف أسماء الأصناف، وأفعال الجوارح، وأفعال الحالة، والجمل الاسمية والنعوت(أي وصف سلوك الناس أفعالهم وحركاتهم في مستقرّهم الأخير، الجنة أو النار).

- اعتماد السورتين على أسلوب المقارنة -في بعض الأحيان- القائم على الوصف الدقيق لمشاهد الجنة والنار(وهما مشهدان متقابلان)، يُساعد على تنوع المواضيع وتعدّدها وارتباطها في صورة متّسقة، تعمل على التأثير في المتلقي.

الهوامش :

---

1 : ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، ص:130.

2 : عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص:153.

3 : ينظر: المرجع نفسه، ص:153.

4 : نقلاً عن: جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية-مصر، (د.ط)، 1998م، ص:141.

5 : نقلاً عن: سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري(دراسة في قصيدة جاهلية)، مجلة فصول (مجلة علمية محكمة تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب)، العددان الأول والثاني، 1991م، ج10، ص:155.

6 : ينظر: جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص:142.

7 : الفيرز آبادي، القاموس المحيط، باب (الميم)، فصل (الضاد)، ص:1143.

8 : ينظر: جلال شمس الدين، الأنماط الشكلية لكلام العرب نظريةً وتطبيقاً(دراسة بنيوية)، توزيع مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية- مصر، 1995م، ج1، ص:113.

9 : محمد بن عبد الله بن مالك، ألفية ابن مالك في النحو والصرف، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 2000م، ص:06.

10 : نقلاً عن: جلال شمس الدين، الأنماط الشكلية لكلام العرب، ج1، ص:114.

11 : نقلاً عن: المرجع نفسه، ج1، ص:115.

12 : ينظر: روبرت ديبوجراند وآخرون، مدخل إلى علم لغة النص، إعداد مركز نابلس للكومبيوتر، مطبعة دار الكتاب، ط1، 1992م، ص:11.

13 : المرجع نفسه، ص:11.

14 : روبرت ديبوجراند وآخرون، المرجع السابق، ص:71.

15 : ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، ص:25.

16 : المرجع نفسه، ص:25.

17 : ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء- المغرب، (د.ط)، 1994م، ص:216-217.

18 : المرجع نفسه، ص:222.

19 : ينظر: عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص:109.

20 : المرجع نفسه، ص:157.

21 : ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص(مدخل إلى انسجام الخطاب)، ص:268.

22 : صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت-لبنان، ط1، 1429هـ-2008م، ص:190.

* : الحقل الدلالي أو المعجمي : هو مجموعة من الكلمات المتقاربة في معانيها يجمعها صنفٌ عام مشترك بينها. أو هو مجموعة متكاملة من الكلمات ترتبط دلالاتها بمجال يُعبّر مجموعها عنه. ينظر: صلاح الدين زرال، المرجع السابق، ص:190.

23 : محمد خطابي، لسانيات النص(مدخل إلى انسجام الخطاب)، ص:269.

24 : أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص:198.

25 : المرجع نفسه، ص:201.

26 : محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص:232.

27 : المرجع نفسه، ج27، ص:231.

28 : نقلا عن: أسماء سعود أدهام الخطاب، التقابل المكاني الأخروي في سورة الواقعة(دراسة بلاغية وصفية)، مجلة آداب الرافدين، 1428هـ-2007م، العدد46، ص:18.

29 : عمر بن علي بن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1419ه-1998م، ج18، ص:345.

30 : عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي(أبو البركات)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج2، ص:588.